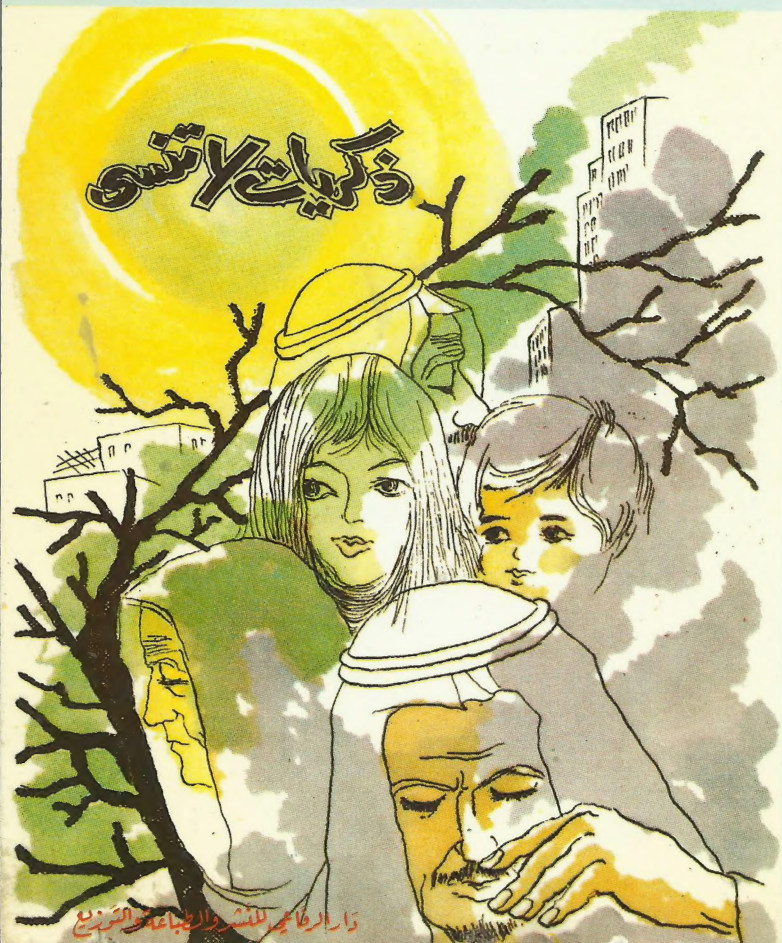




# غالب حمزة أبو الفرج

## ذكريات لا تنسى



المكتبة الصغيرة

(٢٢)



# ذكريات لا تنسى

ومجموعة قصص

غالب حمزة أبو الفرج

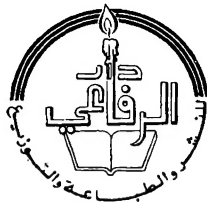
دار السؤالي

للنشر والطباعة والتوزيع  
الرياض



الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م  
الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

حقوق الطبع محفوظة



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣

تلکس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

في الوقت الذي تزدهر فيه ألوان من الأدب العربي في عصرنا الحديث .. وتنمو وتبسق .. يظل لون واحد منها أقل نماء وازدهاراً وبسوقاً .. انه فن القصة بكل أنواعها .. من قصيرة وطويلة ، وتمثيلية ومسرحية .. و ..

ذلك لأن البارعين في هذا الميدان لا يزالون قلة نادرة .. لأن فن القصة نفسه ، بمفهومه الحديث لا يزال فناً ناشئاً في الأدب العربي .. وان كان بمفهومه الواسع فناً أصيلاً فيه .. منذ عهد الأمثال العربية ، والأساطير العربية ، والفولكلور الشعبي .. وقصص المغازي وأحداث البطولات .. وقصص المقامات .. وحكايات ألف ليلة وليلة ..

وحيثما أخذت القصة العربية تقف على قدميها في بعض الأقطار العربية كمصر وسوريا .. كانت هنا في المملكة العربية السعودية ، لا تزال نبتة بازغة تحاول أن تشق طريقها للظهور ..

وكان هناك عدد من الرواد .. لا أجد المجال متسعاً لذكرهم جميعاً .. كما لا أجد الذاكرة مسعفة .. ولكن بحسبي أن أذكر أكثرهم إلحاحاً عليها ، واشتهاراً بها .. وهو المرحوم الأستاذ محمد عالم الأفغاني ..

ولكن القصة في بلادنا ، في الأونة الأخيرة ، وجدت لها سوقاً رائجة بين القراء .. كما وجدت عدداً طيباً من كتابها .. ومنهم من توفر عليها وعرف بها .. وكتب ألواناً منها .. بين القصيرة والطويلة .. ومن أبرز هؤلاء الكتاب الأستاذ غالب حمزة أبو الفرج .. الذي نشر عدداً منها في صحف المملكة ، وفي الصحف والمجلات العربية خارج المملكة .. بل لقد نشرت قصصه في كبريات المجلات العربية في مصر ولبنان ، فلا غرو أن 'يعد رائداً ناجحاً من روادها .. بل هو فيها كاتب هادف .. يكتب حينما يكتب ، جاعلاً نصب عينيه ، خدمة المعاني الخيرة .. راصداً الحركة التحولية الهائلة التي تجتازها بلاده .. نحو الأخذ بأسباب العلم والتقدم .. والتطور الحضاري الواسع .. معمقاً الأهداف الانسانية التي يلتزمها الكاتب الذي يتقمص روح المصلح الاجتماعي ، دون أن يبرز هذه الروح ابرازاً يبعده عن الخط الفني للقصة ..

وهو مع استهدافه لكل تلك الركائز ، يظل محتفظاً بقدرته على السرد السهل المنساب .. منوعاً ما استطاع في الصور التي يرسمها .. وان احتفظ بأبطاله من صميم بلده .. ومن نماذج ظاهرة من انسانها ..

وهو لم ينس .. حينما زاول كتابة العديد من قصصه ورواياته أنه رجل أعلام .. وان هناك وازعاً داخلياً معضاً كان يلح عليه ان يرصد حركة التطور الحضاري في بلده .. فقد ظل ، لوقت طويل في مكان مرموق من مناصب وزارة الاعلام الرئيسية .

واذا كانت هذه الظاهرة جديرة بالتسجيل فان هناك أيضاً ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عن هذه .. وهي سعة ثقافته واطلاعه .. ولعل أقرب مثل لذلك روايته ( الشياطين الحمر ) التي أبرز فيها حادثة ( الأوبك ) في سرد روائي جميل ..

و ( المكتبة الصغيرة ) .. التي قدمت ألواناً من الأدب السعودي ، فيها البحث ، والتاريخ ، والتراجم ، والشعر .. وعرفت العالم العربي ، بقدر المستطاع ، على عدد من الأدباء السعوديين ، حرصت على أن يكون للقصة أيضاً مكانها .. كما حرصت على أن تقدم من كتابها ، كاتباً بارزاً فيها .. له مكانته المرموقة .. وله فيها إنتاج غير يسير .. وهو الأستاذ غالب حمزة أبو الفرج ، الذي أفضل بتقديم هذه المجموعة التي يجدها القراء بين أيديهم ..

حقاً ان هذه المجموعة ، من حيث الكمية ، لا تعد كبيرة أو كثيرة ، ولكنها ، من حيث القيمة والمضمون ، كافية للدلالة على المستوى القصصى عندنا .. وان كان هذا لا يمنع إطلاقاً أن يكون الأستاذ غالب قد قدم من القصص القصيرة ما هو أبرع وأمتع .. ذلك لأن أي إنتاج أدبي انما يخضع لمؤثرات معينة تجعل بعضه أفضل من بعض .. ولكن المستوى العام يظل واحداً ..

وقد حملت هذه المجموعة اسم ( ذكريات لا تنسى ) وهو عنوان احدى قصصها .

ان الأدباء والكتاب في المملكة العربية السعودية يواكبون الحركة الأدبية في العالم العربي ، في اصرار وقوة ، ولا يخامرني أي شك أنهم سيحتلون ان شاء الله مكاناً مرموقاً في دنيا الفكر والأدب بكل ألوانه لا يقل عن أمثالهم في العالم العربي الفسيح ..

ومن الله نستمد العون والتوفيق

عبد العزيز الرفاعي

الطائف ١٣٩٧/٩/١٠ هـ



ذکر الیقین





أمضت ثرياً ليلة هائلة تعد حقائبها في رحلة طويلة تلتقى في نهايتها بزوجها خالد الذى تلقى العلم في جامعة بولدر بولاية كولورادو الأمريكية ، وأخذت تجول بناظريها في أطراف الغرفة وكأنها تلملم ذكرياتها التى مضت ، وتشبع أركانها لثماً وعناقاً وتقبيلاً .

لقد عاشت مع زوجها تحت سقف البيت الذى ستنقل منه في الغد ثلاث سنوات متتاليات كانت بالنسبة اليها : أيام سعد وليالى بهجة . فلقد غلف الحب قلب الشابين اللذين واصلتا مسيرتهما الدراسية بتفوق ، وكان خالد قد سبق زوجته في تحصيله العلمي فمضى يساعدها في انهاء دراستها ، وكأنهما على موعد مع لقاء آخر على أرض أخرى ، وفي معهد من معاهد العلم فيها .

وتذكرت أول لقاء بينها وبين زوجها ، في الطائفة وهي مع أسرتهما لقضاء فترة الصيف في مصيف بحدود في لبنان وهو برفق أسرته وأخته

في طريقيهما الى استامبول ، وفكرت فيما بينها وبين نفسها : كيف التقت عيناها به ، وهي في طريقيها الى المقعد الشاغر لتجلس بجانب أخته صديقتها وزميلتها على كرسى الدراسة .

لقد أمضت ساعات السفر في حديث طويل استعادت به وصديقتها أيام دراستهما التي بدأها سوياً : قد تكون الأيام هي التي جعلت سعاد تنأى بنفسها عن الدراسة بعد أن اقترنت بابن عمها ، وهي صغيرة ، لكن حبل المودة بين الاثنين كان لا يزال يشد كل منهما الى الأخرى ، وكانت صلات طويلة وأحاديث كثيرة عبر أسلاك التليفون وحتى أثناء زيارات عابرة تقوم بها سعاد الى دار صديقتها ثريا .

ومع هذا فهي لم تكن تدرى أن لسعاد مثل هذا الأخ الرائع . لقد بدا أمام ناظريها في تلك اللحظة كفارس أحلامها الذى طالما تخيلت أنه في الطريق اليها .

عينان واسعتان وجبهة عريضة ، ووجه دقيق

الملاح ، حاد النظرات وقامة طويلة بالاضافة الى شخصيته الجادة التى تبدو من خلال كلماته الهامة التى يلقيها على مسمع والدته .

كان يشرح لها في هدوء مناظر الطريق ، وكأنه استاذ أجاد دراسة الجغرافيا ، وكانت تستمع الى كلماته بينما هي منصرفة الى حديث سعاد فعمجت بشخصيته وهدوئه ، وقدرته على الايضاح لهذه الأم التى لم تدرس مطلقاً في أي كتاب أو مدرسة .

لقد انقضت ساعات الرحلة لتحط الطائرة في مطار بيروت ومضى كل واحد في طريقه ، هي مع ذويها وأسرتها الى خارج المطار ، وهو مع أخته ووالدته الى قاعة الترانزيت

لكن قلبها مع كل هذا كان يحدثها بأنهما سيلتقيان مرة أخرى في بحمدون أما كيف سيكون هذا ؟ فهذا هو الشيء الذى لا تدريه : مجرد حدس أحست به ، ينساب في عروقها ليطمئن قلبها الواجف ، شعرت بعده بابتسامتها تكبر على وجهها ،

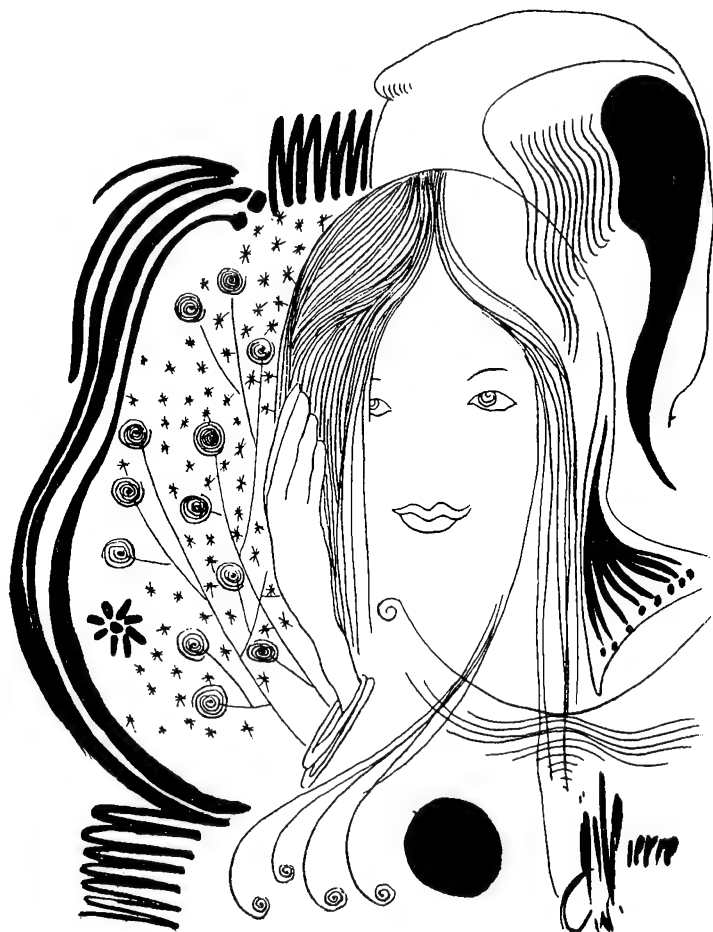
وهي في طريقها الى لقاء بعض من أفراد أسرتها ،  
ممن سبقوها الى ذلك المصيف .

كانت يومها في السنة الأخيرة من مدرستها  
الثانوية ، وكانت تنتظر نتيجة امتحانها في صبر .

وفي فندق لامارتين ببحمدون ، حطت أفراد  
الأسرة بقضها وقضيضها في جناح من أجنحة الفندق  
الجميلة .

وكانت ثريا ترمق الأفق من خلال بلكونتها  
الخلفية الصغيرة ، تطالع قمم الجبال الشمة ، وقد  
اكتست أشجارها الصنوبرية خضرة زاهية : تتطلع  
الى زرقة السماء الصافية ، تتحدث اليها بكلمات  
هادئة ، وكأنها تناقشها مستقبلها الذي لم يولد  
بعد .

وفي كل يوم تأخذها أقدامها في رحلة طويلة مع  
الضياع : هي التي كانت تأنس من ارتياد نوافذ  
المحلات التجارية الملاى بالعديد من ملابس النساء  
وقد رصت بعناية .





لكنها في هذه الرحلة : لم تعد في حاجة الى ذلك كله ، وانما كان كل همها أن تتعرف على أخبار صديقتها في استانبول ، لطالما تحدثت لوالدتها عن رغبتها في زيارة استامبول لكن هذه كانت تضحك في كمها دون أن تبدى شيئاً من ضحكاتها على وجهها ، لقد أحست الأم بما يعتمل في نفس فتاتها ، فأمسكت عن القول ، وبدأت كامرأة لا تعي شيئاً مما تقوله ثريا .

وفي صالة الفندق الكبير اثر عودة ثريا من رحلتها اليومية تسلمت في لهفة برقية كتبت حروفها باللغة الانجليزية التي تجيدها ، وكان مصدر البرقية استامبول ، ففتحتها في عناية لتطالعها كلمات البرقية القليلة :

في الطريق اليك في بحمدون تهانينا بنجاحك .  
سعاد

اندفعت ثريا في سرور الى والدتها تحمل اليها خبر البرقية ، وملء قلبها سعادة لا توصف ، اذن فهو يذكرها . وألا كيف استطاعت أن تعرف سعاد



نبأ نجاحها هي التي لم تعرف به .

وبعد ساعات ثلاث تلقت برقية أخرى كانت البرقية من أخيها هذه المرة يؤكد فيها نجاحها فامتلات نفسها غبطة وسعادة ، وانطلقت الى البرارى تطوف بقدميها الأراضى البكر فى انطلاق وحرية .

لقد تدفقت كل تلك الذكريات أمام عينيها دفعة واحدة ، وأخذت دمة ساخنة تترقرق على وجهها ، وهي تضحك ، وأمسكت بمنديل ورقي أزالته به آثار الدمعة ، ومضت تجمع حاجياتها فى هدوء ، لكن أفكارها لا تسكت بل تريد الانطلاق ، ونظرت الى المرأة التى بجانب سريرها ، وتحدثت الى نفسها هذه المرة ، عجيب أمر هذا القلب ، يخفق دائماً ، ويتذكر وهو عندما يحب لا يرضى بالنسيان ، وفى الطريق الى خارج الفيلا أخذ الشريط السينمائى يكبر أمام عينيها : فلقد تذكرت كيف كان اللقاء الثانى بعد وصول سعاد ؟ .

وكيف اختارت سعاد فندقاً مجاوراً لفندقها ؟

وكيف أمضت هي وسعاد أيامهما الجميلة تتحدثان  
عن الحب الذى أخذ يكبر في قلب أخيها حتى ساعة  
صفو أعلنت فيها سعاد رغبة أخيها في الاقتران  
بثريا ، واستمعت الأم لكلماتها في صمت حتى اذا  
ما عاد زوجها من زيارته لبيروت ألقت بالخبر في  
أذنه والتقط الأب النبأ في سعادة ، فقد كان يعرف  
أسرة خالد ، وطلب من الأم أن تتعرف على رأي  
ثريا في الخطبة حتى اذا ما جاء خالد طالباً يدها  
استطاع أن يقبل أو يرفض .

لكن الأم لم تقل شيئاً وانما عادت بعد دقائق  
تعلن موافقتها . وسارت الأمور على خير ما ترجو  
ثريا وخالد .

واستقبل فندق لامارتين أول حفل زفاف  
سعودي ، واستمتع الناس في بحمدون بمظاهر  
الفرحة التى أخذت طريقها الى الفندق الكبير .

وكان حفل زفاف تحدث عنه الناس والصحف  
كثيراً . ومرت الأيام وكبرت السعادة في قلبي  
الزوجين الشابين ، وعادت ثريا الى بيتها الجديد

الذى انتقت كل جزء فيه بأسلوبها وطريقتها .  
وها هي اليوم تغادر هذا البيت في طريقها الى  
المجهول .

أمضت ثريا ساعات الرحلة بين الرياض ولندن ،  
في شبه وحدة ، مع أفكارها تحدث نفسها تارة ،  
وتسترجع ذكرياتها تارة أخرى ، وفي مطار لندن  
التقت بواحدة من صديقاتها في طريقها هي الأخرى  
لللقاء زوجها في نيويورك .

سعدت ثريا بهذا اللقاء واعتبرته فالأ حسناً  
بالنسبة اليها ، فقد ساقط الأقدار هذه الصديقة  
لتجاورها المقعد في رحلة عبر المحيط .

وفي مطار نيويورك حطت الطائرة ، وأخذت  
الصديقتان طريقهما داخل المطار حيث جرت  
اجراءات الجمرع في هدوء ، وفي المكان المعد لانتظار  
الوافدين التقت عيني ثريا بعيني زوجها التى  
ومضت بألوان السعادة والحب ، واندفعت الى خارج  
المطار لتلقى بنفسها بين ساعديه .

كانت في قمة السعادة فها هي الأيام تجمع مرة ثانية بين القلبين الشابين ولم تشعر ثريا بيد صديقتها التي هزتها في رفق ، وأخذت تقدم زوجها اليها ، والى زوجها .

تعارف الزوجان بعضهما على البعض الآخر ، وأخذ الجميع طريقهم الى داخل مدينة نيويورك لقضاء بضعة ساعات عادت بعدها ثريا وزوجها الى المطار في طريقهما الى مطار دينفر ، وفي مدينة بولدر الصغيرة اجتمع الاثنان في الغرفة الأنيقة التي استأجرها خالد في حرم الجامعة لتكون عشيما الجديد خلال دراستهما في الجامعة .

وسارت أيامهما على وتيرة واحدة من السعادة حتى دخلت بينهما صديقة أوروبية من ألمانيا بشعرها الأشقر وسحنتها الأوروبية .

وكانت من أولئك الفتيات اللاتي يشعرن بأن الانسان مجرد انفعالات نفسية يجب ألا يقف في طريق تنفيسها عقبة أو حاجز .

وقد استطاعت بفطنتها وذكائها أن تتسلل الى البيت الصغير عبر صداقتها لثريا ، التي أحست بأن هذه الفتاة نوع جديد يختلف عن المتيات اللاتي تقابلهن سواء في مدرجات الكلية أو في قاعة المكتبة ، وانصرفت ثريا في دراستها الاجتماعية ، وتفوقت بشكل ملحوظ على عدد من الطلاب والطالبات ، واستطاعت بجدها واجتهادها أن تنتقل الى مرحلة جديدة من التعليم العالى ، قابله زوجها ولأول مرة بشيء من الفتور عزته هي الى انشغاله هو الآخر بدراسته التي بدأ يتعثر فيها .

لم تكن تدري أن عاطفة جارفة أخذت تربط بين زوجها والفتاة الأجنبية ويوم شعرت حاولت أن تغمض عينيها وأن تتناسى كل ما رآته .

لكن هذا الأمر زاد الفتاة الأجنبية عناداً وتصميماً ، فمضت في خطتها تلك ، وفي ذهنها أن الاسلام يجيز للرجل أن يقترن بأكثر من فتاة .

ويوم طردتها ثريا من شقتها الصغيرة خرج في أثرها خالد يحاول أن يسترضيها لكن الأخرى

أصرت على ألا تدخل الشقة مرة أخرى .

أخذ حبل الوفاق بين ثريا وزوجها يتأرجح بعد هذه الحادثة وكانت ثريا قد بدأت تناقش خالدًا الحساب : وهي في جميع حوارها معه تحاول أن تشرح له بأن أسباب تعثره في دراسته يرجع إلى الحياة التي أخذ يعيشها ، لكن هذا قد صم أذنيه ، فلم يعد يسمع شيئاً واستمرأ الحياة الغربية بجميع مآسيها ، وأخذ يتردد على الدور المشبوهة مع رفيقته ، وكل همه أن يقتنص اللذة من كل مكان .

لقد عرف الادمان على المخدرات ، هو الذى لم تمتد يده إلى كأس خمر . وأخذ يستمرىء هذا النوع من الحياة مع رفاق السوء حتى جاء اليوم الذى ترك فيه زوجته وبيته .

أما ثريا فلم تحفل بالأمر ، بل مضت في تحصيلها العلمي ، وفي أحشائها ثمرة زواجها .

كانت تأمل أن يأتي الوليد طفلاً ، فلم يبخل الله عليها بتلبية تلك الرغبة . ويوم ذهبت إلى المستشفى لتضع طفلها الأول تلقت في المستشفى

خبر نجاحها في الماجستير ، فاستبشرت خيراً .

لقد ذهب خالد مع فتاته الأوربية ، وبقي خالد الصغير يؤنس وحدتها . وفي طريق عودتها الى بلادها التقت بصديقتها تلك التي كانت معها في رحلتها الأولى من لندن الى نيويورك ، كانت هي الأخرى في أجازة مع زوجها في طريقها الى جدة .

ومضى الحديث بين الاثنتين يأخذ طريقه بشكل أو آخر . لكن ثريا لم ترد أن تعطي أية فكرة عما جرى بينها وبين زوجها ، وفضلت الصمت على جميع أحزانها .

وفي مطار الرياض كان في استقبالها والدها وأفراد أسرتها التي كانت تنتظر على أحر من الجمر عودة ابنيهما من دار الغربه بعد رحلة طويلة دامت سنوات .

واستقبلها الجميع بالترحاب ، وأخذ والدها بيدها الى البيت الكبير لتلتقى بمجموعة أخرى من أفراد أسرتها الكبيرة .

لكن ثريا فضلت أن تمر على عشاها الصغير  
لتمضى دقائق مع أحزانها في غرفة نومها التي  
ودعتها قبل سنوات .

وهناك التقت وجهاً لوجه مع صورة خالد ، التي  
أخذت تطالعها وتحاصرها من جميع الجهات ،  
فاغمضت أهدابها لفترة ، وانتقلت بذاكرتها الى أيام  
السوء التي أمضتها في أمريكا . وتخيلت كل ما جرى  
فحمدت الله على أنها لم تعد خالية الوفاض من هذه  
الرحلة .

فشهادتها الكبيرة ستؤهلها للعمل في حقل  
التعليم ، وهي اليوم أشد حاجة للعمل من أي وقت  
مضى .

والتفتت الى أختها الصغيرة وكلها شكر ، فلقد  
حافظت هذه الأخت على جميع ذكرياتها في البيت  
الذي تحبه رغم كل ما جرى .

وأخذت تتنقل عبر جميع الغرف فرأت في  
احداها (هندولا) جميلاً وضع في أقصى الغرفة بعناية،



والى جانبه شتى ألوان الصور ، وعندها توجهت الى  
أختها بالسؤال عن الهندول : ومن الذى أحضره ؟  
وعندما عرفت بأن والدتها هي التى اختارته من  
أسواق الرياض ابتسمت من كل قلبها وقالت  
بينها وبين نفسها :

انها لا تنسى هذه الأم رغم جميع مشاغلها .

أمضت ثريا بعضا من الوقت في دارها الصغيرة  
ترمق الذكريات بنصف عين مفتوحة ، أما العين  
الأخرى فكانت في مكان ما ترمق بها أشياء أخرى :

وأطلت ذكريات الأمس القريب والبعيد معاً :  
لكن وصول والدها الى البيت قطع عليها تفكيرها  
فأخذت طريقها معه ، لتلتقى مع مجموعة من  
صديقاتها اللائي كن في انتظارها بعد طول غياب ،  
وفي السيارة سألتها والدها عن خالد فلم تجب وانما  
أشارت الى طفلها الرضيع وقالت : هو الآخر اسمه  
خالد يا أبي ، وابتسم الشيخ العجوز وقال :  
لا عليك سيعود خالد الى بيته يوماً ما ، وسيلتقى  
بخالد هذا الذى سيحاسبه حساباً عسيراً يا ابنتي .

أبي القاسم



وتمضى الأيام

ويكبر الصغير

ويصغر الكبير

وهو في مكانه من حيث بدأ مرضه يرقب مجريات الأحداث في عالمه الصغير في صمت ما بعده صمت ، وكأنه يعلن بهذا الصمت فجيئته في هذه الدنيا ، وحزنه على أحوال سكانها من أمثاله ، وينظر الى البعيد : يطالع قمم الجبال الشامخة ، وهي تلتف فيما بينها لتطبق في نظام بديع على الأرض التي تحملها ، لقد كستها الطبيعة حلتها الخضراء بعد أن سخت عليها السماء بدموعها الغزيرة ، فمنحتها الرواء والنماء ، وأعطتها الصفاء والنقاء ، ووهبت أبنائها القدرة والقوة على العمل اليدوي الشاق ، على مدارج الجبال ، حيث يحاول كل واحد من أصحاب الأرض استثمار كل شبر فيها من أجل صالح الانسان في هذه القرية الصغيرة التي يسمونها

الشفاء ، والتي تبعد زهاء عشرين كيلومتراً عن مدينة الطائف .

في هذا الجزء من الأرض ولد ، وفيه يعيش ، وفيه سيدفن حين يموت .. هذه هي سنة الحياة ، ومع هذا تظل أفكاره تسبق خطواته تشير الى أماكن الصبا التي لا يزال يرتادها ، ومع هذا فهو يرى بأنها تغيرت صورتها في عينيه . لماذا لا يدري ؟

ويعاود النظر الى قطيع الماشية ، وهو يرعى هنا وهناك يقتات الحشائش الصغيرة ، ومن خلفه ذلك الطفل بأسماله البالية فيتذكر ماضيه يوم كان هو في مكان هذا الراعي ، لكن الزمن تغير وأصبح من غير مقدوره أن يعاود رحلته مع قطيعه بعد أن كبر ، وأصيبت قدماه بمرضها المزمّن الذي أقعده عن السير وربطه الى هذا الكرسي ، أكثر من خمسة عشر عاماً .

وتذكر كم أحب هذا الكرسي يوم أن جاء به أخوه من المدينة الكبيرة التي يسمونها جدة ، لقد استطاع بفضلله أن يعاود سيره في الطرقات يلتقي

بضحابه يتحدث اليهم ، أما اليوم فقد كره هذا الكرسي وود لو يلقي به الى الوادي ، ليذهب دون رجعة .

وارتجفت شفتاه وأحس بكوامن الغيظ في نفسه من عقالها ، فسنواته التي أمضاها كسيحاً يجرى وراء الدواء في كل مكان عند طبيب القرية والمدينة بلا جدوى . تطل فجأة وبلا مقدمات :

ونظر الى السماء ليرى مجموعة من الطيور تدرب صغيرها على الطيران في دأب ومسرة فأحس بشيء من الراحة : فها هو الصغير يحاول الطيران مرة ومرات ، وفي كل مرة تتعثر أجنحته فيهبوى من شاق لتتلقفه الأجنحة الكبيرة في مظاهرة عجيبة .

ويمضى صغير الطير في محاولته حتى ينجح ، وعندها يمضى الى السماء بعيداً عن المجموعة في طريقه لطلب الرزق ، وتضج مجموعة الطيور بصغيرها ، وكأنها في تلك اللحظة تلقى في مسامع الدنيا قصة محاولة بدأها صغير ليكبر مع الأيام .

ما أجدره أن يأخذ درساً من هذا الطائر

الصغير !! ومن مجموعته التى ساندت موقفه ليكبر ،  
لقد هجر المرعى ، والأرض الصغيرة التى تحيط  
بداره ، ونسى الطريقة التى كان يساهم فيها معهم  
لجلب العسل من مخابىء النحل الذى أحبه هو الآخر،  
رغم لسعته المؤلمة التى كان يحس بوقعها على يديه ،  
وهو يداعب أقراصها الشهية فى البرج المصنوع من  
الحجارة والخشب .

لقد اختار يومها لوناً أخضر دهن به برج النحل،  
لأنه كان يحب الخضرة فى كل مكان ، أما اليوم وعلى  
الرغم من هذا الصفاء الذى يحيط بسماء القرية  
وأرضها ، فقد بهتت صور الخضرة فى عينيه ، لماذا  
لا يدري ؟ وأصر على معرفة السبب : فلقد رضى  
حيناً من الزمن بواقعه الذى يعيشه ؛ لكنه بعد أن قرأ  
ما قرأ ، وعرف أن هناك امكانية جديدة لعلاج  
قدميه بدأ يفكر فى الطريقة التى يسلكها لتلقى  
العلاج .

وتحدث مع أخيه فى هذا الشأن الذى أخذ على  
عاتقه اقتناص الفرصة للذهاب الى مستشفى الملك

فيصل التخصصى في الرياض ، عسى أن تجد قدماه  
طريقاً للعلاج بعد كل هذه السنوات .

وهو اليوم في انتظار عودة هذا الأخ من رحلته  
الى العاصمة بعد أن اصطحب معه جميع الأوراق  
التي جمعها عن مرضه .

ترى ماذا سيقول الأطباء عن مشكلته ؟ وهل حان  
الوقت لأن يعود الى اجتياز الطرقات في قريته  
الجميلة على قدميه ؟.

وتطل الذكريات في مخيلته مرة أخرى لتأخذ  
خطأ آخر مغايراً لما كان يفكر فيه ، وجنحت به  
أخيلته الى المستشفى الذى سمع عنه ، وتصور  
نفسه قابعاً في غرفته مطلاً على الأرض التي يراها  
لأول مرة وبجانبه فتاة من فتيات المدينة ترعى  
شئونه وتشارك في اصفاء البهجة على قلبه .

وأحس في تلك اللحظة بدفعة جديدة من الأمل  
في الشفاء ، تسرى في عروقه ، وتحدث مع نفسه  
في هدوء وأخذ يقلب الأمور من جميع زواياها



وأخذ ينظر الى المستقبل وكيف سيكون بالنسبة اليه بعد الشفاء؟.

لقد حال المرض دونه والمضى في الدراسة بشكل نظامي ، لكنه في الوقت نفسه أعطاه القوة على قراءة بطون الكتب القديمة والحديثة معاً ، واستطاع خلال تلك الفترة أن يكتون لنفسه آراء كثيرة فيما يقرأ .

لطالما التقى بزملائه في صفوف الدراسة ، وهو يقرأ ما يتوفر لديه من كتب ، كان يراهم بعينه يختالون على صفحات الكتاب في فترات متقاطعة خصوصاً صديقه سالم الذي سافر الى الخارج ، وانقطعت أخباره عنه بعد رحيل أسرته الى مدينة أخرى ترى أين هو الآن ؟ وماذا يفعل ؟ وأقفل عينيه وتذكر أحاديث سالم وأمانيه وأحلامه ، كان من أولئك الذين اختاروا لأنفسهم أسلوباً متميزاً في التحصيل ظهرت آثاره عليه مبكراً منذ كان برفقته في المدرسة المتوسطة ، فهو يميل الى دراسة ما يمت الى الانسان بصلة ، وكأنه على موعد مع

حياة جديدة لا ندرى عنها الآن شيئاً .

وعاد الى الدار يحمل ذكرياته ، وهناك التقى  
بأخيه الذى عاد لتوه يحمل البشرى اليه فمن الغد  
سيكون في طريقه الى مطار الطائف في رحلة جديدة  
يصارع فيها المرض .

وشعر بالطمأنينة تتسلل الى قلبه ، ومضى يقبل  
أخاه في صمت ، وبعينه في هذه المرة ، لكن الأخير  
استرسل في حديثه قائلاً :

— لقد قرأوا جميع التقارير ودرسوها ، وعرفوا  
شيئاً عن مرضك ، وهم في انتظارك لأنهم مؤمنون  
بأن علاج هذا المرض أمر غير صعب ، لكنهم قبل  
كل هذا يؤمنون بأن رغبة الانسان في العلاج هي  
الأخرى جزء هام من العلاج نفسه ، ولقد شرحت  
لهم حياتك وطريقة عيشك وايمانك ، فكان  
جوابهم لى بسمرة رقيقة ، جعلت البهجة تضح في  
أعماقي ، لقد أحسست بأن الله سبحانه وتعالى قد  
أراد لى ولك الخير فهياً لنا هذه الفرصة التى يجب أن  
نسرع في اهتبالها .

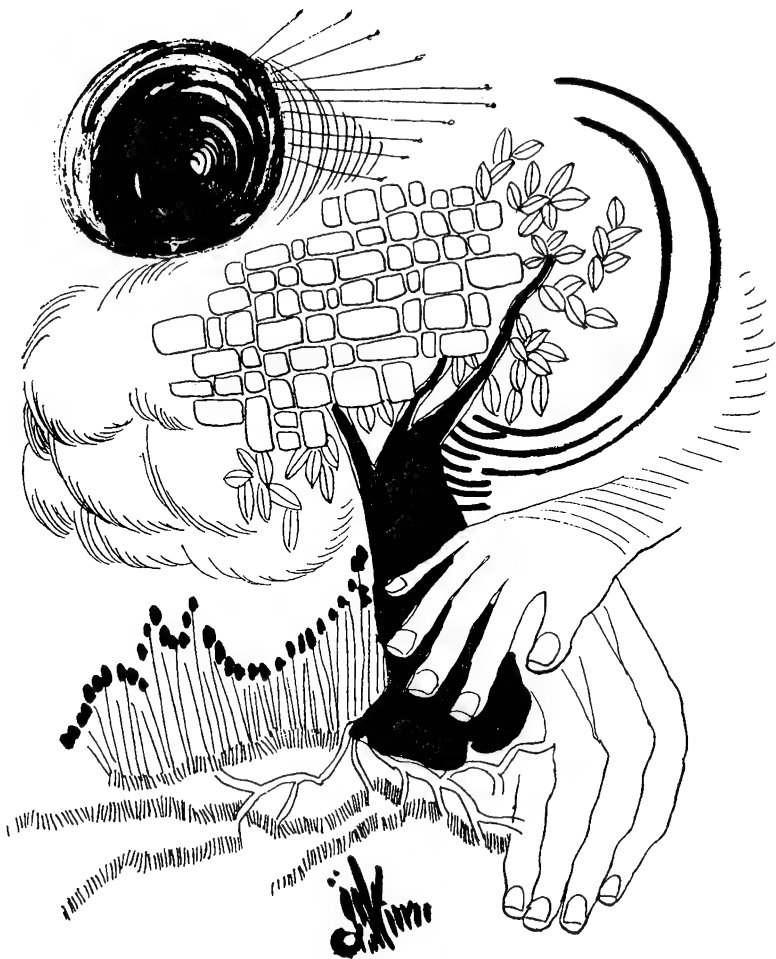
واندفعت الدموع الى مآقيه ، وكأنه يعلن في هذا الموقف عن شكره وتقديره لهذا الأخ الذى أخذ على عاتقه حمل مسئوليات البيت والأسرة ومسئوليته هو الآخر . ونظر اليه في صمت وقال كلمة شكر ، خرجت من أعماق نفسه ، ومضى الى غرفته يذرعها في كرسيه المتحرك وملء نفسه أحاديث شتى .

وفي الصباح أخذت السيارة طريقها الى الطائف فمطار الحوية بعد أن ودع أفراد أسرته ، وألقى بناظره الى الأماكن التى كان يرتادها .

وفي الطائرة كان لقاء بينه وبين صديق الأمس ، الذى اختار مهنة مغامرة لما كان يأمل .

فلقد استمع الى صوت المضيفة تعلن عن اسم قائد الطائرة ، الذى عرفه على الفور ، وعندها طلب في رقة من المضيفة أن تنقل الورقة الصغيرة التى كتب عليها تحيته الى صديق الأمس الذى جاء على أثرها أحدهم ليأخذ بكرسيه الى غرفة القيادة .

وكانت فرصة يلتقى فيها الصديقان في أجواء





الفضاء بعد أن عز عليهما اللقاء على أرض القرية الصغيرة .

وفي المستشفى كانت اقامته في احدى غرفه الملائى بالأجهزة والمعدات الطبية ، وتناوب الأطباء على فحصه فرادى ومجتمعين ، ويوم أنهت اليه سعاد المريضة ، خبر اجراء العملية في الغد ، طار فرحاً ، وتحدث الى الطبيب طويلا الذى أكد له بأن عودة قدميه الى سابق وضعهما أمر يمكن الوصول اليه .

ونام ليلته ليقوم في الصباح وقد عاوده نشاطه وأمله في أن يمشى على قدميه مرة أخرى .

وتطلع الى المريضة بنظرة جديدة هذه المرة أودعها كل حبه للحياة هو الذى نسى طعمها الرائق في فمه ، وأخذ يتغزل في ملامح وجهها الدقيق القسما ، لكن هذه لم ترد سوى بابتسامة مضى في أثرها معها الى غرفة العمليات . كان كل شئ في الغرفة يثير في نفسه احساسات الفرح والسرور ، فهو قد وطن عزمه على أن يشفى ، ولهذا يحاول

اليوم أن يبدو في أسعد حالاته ، ومضى يدرّش قليلا مع طبيب البنج الذى والى استعداداته للعملية .

لقد أحس ساعتها بأن كل واحد من هؤلاء القوم انما يشاركونه في حثه بالخلاص من هذا المقعد الذى أمضى معه أجمل سنواته ، وأحس أيضاً بأن دراسة الطب التى اختارها هذه الصفوة من الناس لم تكن مجرد دراسة ميكانيكية علمية ، وانما هي في أصلها ومردودها علم انساني تمنى لو كان هو واحداً من هؤلاء السادة .

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة أحس بها تملؤ وجهه ، فشاركه الجميع البسمة ببسمة أكبر ، وأخذ كل واحد مكانه ، حتى اذا ما سرى مفعول البنج في جسده غاب عن الوعي في رحلة مع الأحلام الهادئة هذه المرة .

ولقد أمضى ليلته تلك على فراشه ترقبه شتى الأجهزة التليفزيونية التى أعدت في الغرفة الأنيقة حتى اذا ما بدا الصبح يدب في جسده قابلته

ابتسامة سعاد الانثى التى يراها مرة ثانية بجانبه  
انسانة أخرى غير تلك التى يعرفها .

لقد أحب في هذه الفتاة دعتها وسكونها وقدرتها  
على تحمل المرضى في أعصاب حديدية ، واستمع  
لكلماتها وهي تنصب داخل أذنيه : مبروك لقد  
نجحت العملية ، وأجاب بلا وعي : صحيح أم أنها  
مجرد كلمة تقولينها لكل مريض .

وقالت سعاد : بودي لو أقولها لكل مريض ،  
لكنني اليوم أقولها وأعنيها ، فلقد نجحت عمليتك،  
فنحن هنا في هذا المستشفى نطرب لنجاح عملياتنا  
الجراحية كما تطرب لسماع أية أغنية .

وأدارت صوت المذياع ليجيء صوت المطربة  
مشاركاً إياه فرحته بهذا الحديث وانحدرت دمة  
صغيرة على خده هذه المرة ، لكن سعاد ما لبثت أن  
أزالتها بمنديلها الورقي ، وقالت : أوتبكي ؟

وأجابها قائلاً : دموع الفرح يا سعاد تصورى  
بعد هذه السنوات الطوال أعود الى قريتي على قدمي



انها أمنية شاء الله لى أن تتحقق على أيدي هؤلاء الرجال الذين يعملون في صمت من أجلنا ، من أجل المرضى في بلادنا . من أجل إعادة بناء الجسم الانساني الذى أصابه الخلل فجأة ودون سابق انذار . وضحك ، ثم تابع قوله ، لكن . وصمت . لكن ماذا : تساءلت سعاد : وأجاب سالم : لا أدري فقد يكون لى الحق فيما أقوله ، وقد لا يكون لكن ثقي أنها المرة الأولى التى أحس فيها بحاجتى الى الكلام ، ومعك أنت . والتفتت اليه وقالت : لا بأس عليك ، سأظل صاغية بكل أذني لما تقول ، فلا تبخل علي بحديثك ، فلقد أمضيت أكثر من ثلاث سنوات بعد تخرجي من مدارس التمريض في جامعة القاهرة ، أنصت للمرضى ، لكن حديثك اليوم بالنسبة الي شيء آخر غير جل ما سمعت وضحكت .

وتابع سالم حديثه قائلاً :

عندما أقول يا سعاد بأننى ولدت من جديد بعد أن سمعت تهنئتك أكون صادقاً في قولي هذا .

لأن أيام المرض الذى أقعدنى لن تظل مطلقاً في حساباتي هذه واحدة . والثانية أشعر بشيء جديد يداخل احساسى ، لا أدرى كنهه ، قرأت عنه كثيراً في الكتب وفي المجلات ، لكنني مع كل ما قرأت أظل في حاجة لمعرفة رأيك .

يقولون يا صديقتي : ان الحياة عندما تمنح تعطى بسخاء ، وعندما تبخل تشح بسخاء أيضاً ، واليوم وقد أعطتني الحياة ما أريد ، ووهبني الله ما أرغب أجده في نفسى القدرة لأن أتحدث عن الهاجس الذى أصبح يحرق بهذا الخافق ظل طوال السنوات الماضية يخفق بلا أمل . أما اليوم فقد زادت خفقاته ، وأصبح يلح علي في أن أختار طريقاً جديداً .. وتابع قوله :

لقد حطم المرض حياتي ، حرمنى أن أكون واحداً من هؤلاء الشباب الذين تريحهم يعملون ، ومع هذا أحمد الله من كل قلبى على عودة الصحة الى بدنى ، ومع هذا أظل أتطلع الى حياة أفضل لا أدرى كيف أخطط لها ؟ فهي في نظرى كحياة

الطفل الذى يبدأها بعد الثلاثين وأنا كما ترين  
في طريقى الى الثلاثين أكبر منك بكثير ، ومع هذا  
لا مهنة لى ، ولا عمل ، فهل يستطيع مثلى أن يحب  
وأن يعمل ؟ وأن يتزوج من يحب .

وأجابت سعاد : في هدوء وثقة : نعم يستطيع من  
يملك القدرة في نفسه على الاستمرار في الحياة ،  
ولقد برهنت بايمانك الذى يغمر قلبك واصرارك  
على اجراء العملية بعد هذا الوقت الطويل ، على  
انك قادر على اختزان عواطفك ، مالك لمقومات  
حياتك ، وهي صفات لا يمكن أن يتصف بها كل  
انسان ، ولهذا ستنجح ، لكن قبل كل هذا يجب أن  
تفكر في العمل الذى تريد والمرأة التى تحب أن  
تقترن بها .

انها أي المرأة والعمل توأمان للرجل ، يجب أن  
يكون بينهما الكثير من الترابط فاذا قدر لك  
وتعرفت على الاثنين معاً كان لك ما تريد ، أما اذا  
تعرفت على واحدة دون الأخرى ، أصبح الأمر  
شيئاً آخر ..

وأطرقت برأسها في حياء ثم مضت الى خارج الغرفة ، وأخذ يفكر في كلماتها في هدوء يناقشها في أعماق أعماقه ، فلقد استطاعت هذه الانثى أن تعطيه درساً انسانياً جديداً في كلمات صغيرة ، لكنها مؤثرة وهو يشعر اليوم بقيمة كل كلمة قالتها .

فالأيدى التى تبني مجتمعة في حاجة الى أيادي كثيرة ، ويومها يستطيع أن يفكر بطريقة أخرى غير الطريقة التى يفكر بها الآن فرواسب المرض لا تزال عالقة في نفسه ، تجعله يتشبث بأول انثى تعامله في صداقة وتقدير كما فعلت سعاد ، هذه الفتاة الرائعة التى جاءت من أرض الكنانة الى حصن العروبة المنيع في رحلة مع العمل من أجل المرضى أمثاله ، ولا شئ غيره ، وغادر المستشفى على قدميه لأول مرة بعد سنوات طويلة وكانت في وداعه سعاد ، التى شاءت أن ترقب خروجه في بهجة ، وعند باب السيارة قالت له وبدلال هذه المرة : وداعاً والى لقاء في الشفا أيها الصديق .



يا صديقي العزيز!



يا صديقى العزيز ....

لقد حالت سنوات العمر بينى وبينك فلم  
تعطنى الفرصة لأن ألتقى بك بعد رحلتى الأخيرة  
الى بلد الغربة .

وكان فراق !! أخذت بعده العهد على نفسى ألا  
أكتب ولا أدرى ان كنت محقاً في هذا أم مخطئاً .

لكنها الحقيقة ، الحقيقة التى تعرفها ، ناقشناها  
سويّاً ، وتحدثنا عنها كثيراً ، وكنت أنت واحداً من  
أولئك الذين يتطلعون الى المستقبل في ايمان وعزم  
وتصميم ، أما أنا فعلى عكسك تماماً ، شئت أنا نيتى  
أن أهرب من واقع الحياة في بلادى يوم كانت بلادى  
أبعد ما تكون عن استيعابها لوسائل الحضارة التى  
كنا نسمع بها ونقرأها في الكتب والمجلات ، قد  
لا يكون ذلك ذنبها بمقدار ما هو ذنبى أنا ، لأننى  
لم أكن مؤمناً مثلك ، قادراً على امتلاك الحقيقة التى  
بهتت صورها وأشكالها في عيني .



كنت شاباً يافعاً غراً ينظر الى الحياة على أنها  
عبارة عن نزوات تسيطر على أجسادنا فتندفع الى  
انتهابها بشتى الوسائل ، وكنت أتطلع الى الصور  
التي تحلى الصحف والمجلات ، فأتحسر على الدقائق  
والساعات التي أقضيها هنا في هذه المدينة الصغيرة  
التي يسمونها ( ينبع ) .

ومع أول باخرة استطعت الهروب على ظهرها  
غادرت المدينة ، بعد أن تركت ورائي صور ذلك  
المجتمع الذي كنت ألقى عليه باللائمة لأنه لا يتطور ،  
يظل في مكانه ، لا يأخذ بأسباب المدنية الحديثة .  
أوتذكر يا صديقي : لقاءاتنا المتكررة على الشرم ،  
نأخذ من يومنا ليومنا ، أما الغد فقد نسانا  
وتناسيناه ، وذكريات الطفولة المرحية قضيناها  
جرياً وراء الماضي نبحث في طيات الرمال الناعمة  
عن آثار أولئك الذين سبقونا فبنوا قصورهم على  
الرمال لتجتازها الرياح ثم تذروها في البعيد ..  
البعيد .

ستذكر ذلك حتماً ، وتذكر أيضاً صديقنا

سعيد بملابسه الزاهية يختال على الطريق في أول عيد لشهر رمضان تفتحت أعيننا على ذكره كان والدى ووالدك من طينة غير طينة والد ذلك الصديق ، فلم نستطع أن نجاريه في اختيار ملابسه أو حتى في طريقة مشيه .

وكنت أتحدث اليك في صوت مسموع ، أنقل اليك احساساتي ، ما أحب وما أكره لكنك لم تكن تعير ما تسمع أذنًا ، كنت مشغولا عني بأفكارك وأحلامك ، ونظراتك الثاقبة الى المستقبل .

وحديث المدرسة الصغيرة ، وعم عبد الباقي بائع البليلة الذى كان يجود علينا بما يتبقى من بليلته ، وهو يعرف اننا أنا وأنت لا نستطيع أن نعطيه ثمنها ، ومع هذا كان لا يبخل علينا بما لديه .

لطالما ذكرت كل ذلك وأنا في بلاد الغربية . الدروب الصغيرة التى نسير في محاذاتها ، ونحن في الطريق الى بيوتنا التى تحمل بصمات الماضى ، هي الأخرى كانت ولا تزال تعيش في مخيلتى حتى اليوم . ترى هل هي على ما كانت عليه أم أن الزمن قد

تغير ، وداهمتها أيدي التطور ، فلم تبق على تلك  
الرواشين الخشبية الدقيقة الصنع . لطالما ظللتنا  
شجرة البانسيان العجوز التي كان يتعهدا العم  
عطية مقريء البلدة العجوز ، ترى كيف حاله  
اليوم وهل لا زال في مكانه يحمل كل ليلة جمعة  
دفتره المفضل ليوثق فيه عقد زفاف جديد ؟

والصحاب الذين كانوا معنا في غدواتنا يجرون  
على الأرض الطيبة يحيلون ترابها الى غبار تثيره  
الأحصنة الخشبية المزيفة في رحلة مع الطفولة ترى  
هل لا يزال يمارسها أبناءك ، كما كنا نمارسها  
نحن في الماضي ؟

لا أظن يا صديقي ، فالحياة في بلادى حسبما  
سمعت تغيرت كثيراً .

وهبها الله النماء فازدهرت وربت ، وأعطت  
أكلها لأبنائها الصالحين من أمثالك .

أما أنا فكما ترى : أقبع في جزيرتي أتحسس  
طريقي بين الأشجار الخضراء ، أدب على عصاي  
أتوكؤ عليها في قسوة .

لقد فرغت لتوى من قراءة جريدة أمريكية ،  
نقلتني لواقع الحياة الجديدة في بلادي التي لم أكن  
أتصور أنها ستحدث لأنني كنت قصير النظر .

أضعت الثلاثين عاماً من عمري في اجتياز  
المجهول في جزر أندونيسيا أتقلب في أعمال شتى ،  
ومع هذا كنت كما أنا خالي الوفاض ، لا أستطيع  
الحصول على أجر الباخرة ، أو الطائرة التي تعيدني  
الى بلادي .

فرغ الدم من شراييني ، وتصلبت عروقي  
وغابت عن وجهي نضارة الحياة القاسية التي عرفت  
والتي كانت كذلك .

لكنني مع هذا خرجت من القسوة الى قسوة  
أكبر ، ومن مجتمعي الطيب الى مجتمع آخر  
لا يرحم من لا يعمل ، ومع هذا عملت ، صنعت من  
زورقي أحلاماً كثيرة بددتها رياح الأوهام ساعة  
غيظ ، وكأنها هي الأخرى قد تعاهدت معك على أن  
أظل كما أنا .

لا عليك يا صديقى من كلماتى هذه التى أخطها  
اليوم فى رسالة طويلة أبعث بها اليك عبر الأجواء  
الصافية التى ألمسها من خلال كل ما قرأت عن بلادى  
فى خطواتها الجديدة .

حتى الأرض التى أمتلكها بعثها بتراب الفلوس  
لأخذ بقيمتها أجر التذكرة التى حملتنى الى أرض  
الغربة .

يقولون أن سعر الأرض فى ينبع اليوم بمئات  
الريالات ، بعد أن كانت بتراب الفلوس . أحقاً  
هذا ؟

وان الصحوة الكبرى فى هذه المدينة تدق اليوم  
أبوابها فى عنف لتحيل هدوءها الى ضجيج .

ويقولون أن الصناعة والتصنيع فى طريقها الى  
هذه المدينة بعد أن اختيرت لتكون المدينة الصناعية  
الثانية فى بلادنا المترامية الأطراف ويقولون ..  
ويقولون .

وأنا أقرأ ما يقولون وأتحرر على السنوات التى  
مضت .





لقد منيت بامرأة كان حظى من الاقتران بها ،  
أنها أخذت في مرضها كل ما أمتلكه ، ثم ذهبت .

وأنا اليوم أترحم عليها في صمت ، لكنى لا أدرى  
ما الذى سأقوله ، قد تكون الحياة في أندونيسيا  
قريبة الى قلبي يوم جئتها ، أما اليوم فقلبي معك  
مع المدينة الصغيرة التى تكبر مع الحياة التى تنمو في  
بلادي مع الأمانى والأحلام التى كانت في نفسك  
وهي اليوم تتجسد .

لقد قطعت - خلال سنوات حياتى الماضية -  
الجسور التى تربطنى بهذه البلاد ، فتنازلت عن  
جنسيتى ، وتركت كل شئ ، وها أنذا وقد فقدت  
الشئ الكثير : عمري وشبابى وأحلامى وأمانى ،  
لا أجد ما أقوله سوى أننى مشوق للقاء الأرض التى  
مشينا عليها سوياً .

دعنى أقبلك من خلال كلماتى التى أكتب وأقبل  
كل شبر في الأرض الطيبة .

الميناء الصغير الذى كان مربوط العابنا ترى كيف



هو الآن ؟ هل لا يزال في مكانه أم أن يد العمران قد امتدت اليه . ؟

لقد التقيت صدفة بجاج من أبناء أندونيسيا ، عاد لتوه من أداء الفريضة ، فدهشت لحديثه عن بلادي وتطورها .

كان يصفها وصفاً دقيقاً ، وكأنه يجسد جل أمانيك من خلال كلماته . لك الله يا صديقي ، فلقد تحققت أحلامك ، وتحطمت آمنياتى على صغار الغربة ، أوتذكر : قيثار الحب ، هكذا كنت تسميها أنت بينما كان كل واحد في مدينة ينبع يسميها السمسمية ، كنت تعزف عليها ببراعة ، فهل لا تزال كما كنت أم أنك اليوم تعزف على أشياء أخرى كالبيانو ، والأرغون .

لقد شاهدت بالأمس فيلماً تليفزيونياً ، نقلتني مشاهده الى الأرض التى مشى عليها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وشدهت للعمارة الرائعة التى شيدها هذا العهد للمسجد الحرام والمسجد النبوي .

واطلعت أيضاً على بعض مشاهد التطور  
التعليمي ، فشاهدت بنات مجتمعنا يسرن في طريق  
العلم ، في حشمة ووقار .

لقد أثارت في نفسي رؤيا الفيلم ذكريات  
وذكريات ، وتصورت حياة بناتنا في ذلك الماضي  
السحيق يفترشن الأرض في كتاب عتيق تشرف عليه  
امرأة من سوريا .

لشد ما تغيرت أوجه الحياة في بلادنا ، أما أنا فلا  
أزال كما أنا : أمتص الغربة وتمتصني : تثير في  
نفسى كوامن الشوق الى مرابع الصبا ، ومراتع  
الشباب . لقد نضوت عن نفسى أدران الحزن بهذه  
الرسالة التى أرجو أن تتسلمها وتقرأها في امعان  
لأنها جزء من حياتنا التى مضت .

قد تكون هناك بقية من العمر أستطيع من  
خلالها أن ألقاك وأرى كيف تعيش ؟ ثم أمضى  
لأطالع كل جزء في بلادى التى أحبها من كل قلبى .  
لقد حرصت في هذه الرسالة أن أعيدك الى

الماضى ، على اعتبار أنها الوسيلة التى تستطيع بها  
أن تعرف جيل بلادى من أبنائك بما كان لىروا  
بأعينهم كيف أصبحت بلادهم نموذجاً خيراً للتطور  
وصورة صادقة للحضارة .

ومعذرة ان أطلت فأنا مشوق الى أن أرى  
وجهك ، وأنت تقرأ كل حرف من هذه الرسالة  
التي أودعتها احساساتي وحبى وتقديرى لك  
وللعاملين المخلصين من مواطنيك ، فهم على ما يبدو  
فى سباق مع الزمن يجسدون من خلاله أمانينا  
وأحلامنا ، التي لم نستطع تحقيقها يومذاك .

وشكراً من الأعماق ؟

صديقك

ابراهيم

..وتظل الدنيا!



كل شيء هاديء في الطريق الى خريص وهو وحده  
يقود سيارته في عصبية والجو يميل الى البرودة  
وزخات المطر تدق زجاج السيارة ونوافذها في هدوء  
رتيب ، وكأنها على موعد مع رحلته تلك ، التي  
يقوم بها في هذا الوقت المتأخر من الليل .

أضواء محطات البنزين تطالعه هي الأخرى في  
صمت ، وتطل عليه من بعيد ، وهو في طريقه الى  
المجهول يبحث عن الراحة ، بعد أن افتقدها طوال  
ليلته تلك .

لقد أمضى ليلته ساهراً بجوار التليفون يترقب  
لي لهفة رسالة المساء تأتيه في وقتها المحدد دون  
جدوى .

كم يكره هذا الصمت : ولكم كان بوده أن يحيل  
هذا الصمت الى صخب وأدار مفتاح الراديو بحثاً  
عن أية اذاعة ، وأخذ يدير المؤشر هنا وهناك  
بلا فائدة .

الطريق الأسفلتي الأسود يلمع تحت أضواء  
السيارة ، غسلته الأمطار جنت عليه الغيوم ،  
يستقبل عجلات السيارة في حنان وكأنه يشفق عليها  
من مشوارها الطويل ، وتبدو في البعيد عدد من  
سفن الصحراء بأعناقها الطويلة ، تختال في مشيتها  
على الطريق .

وهو خلف المقود تتداعى في أعماق أعماقه أفكار  
كثيرة ليبتها تصمت هي الأخرى فلا تطفو ، لكنها  
تأبى أن تستسلم لما يطلب .

الرمال الحمراء كساها العشب الأخضر ، وبللتها  
دموع السماء ، رطبت أجواء صحرائها ، وهو من  
عشاق هذه الرمال لكثرة ما التقى بها في طفولته  
وشبابه ، واستدار ليأخذ طريقاً جديداً بين الرمال  
بعيداً عن الأسفلت الأسود النظيف . وهناك على  
هضبة صغيرة أوقف سيارته ، وتطلع الى السماء  
فبدت نجومات صغيرة تظهر من وراء السحب التي  
أخذت تتبدد فجأة ، تمضى كما جاءت ، تنقلها  
الرياح ، وما أقدر الرياح على نقل الأشياء .

وأخذت الذكريات تنساب في عروقه ، تطل من مخيلته ، تظهر كشريط سينمائي من بين عينيه .

وبدت أيام طفولته أمام ناظريه بجميع أشكالها وأحداثها ووقائعها فلقد ولد في قرية صغيرة من قرى المدينة ، شاء لها حظها آنذاك أن تقام فيها مدرسة سموها مدرسة الصحراء : فرح بها كثيراً واستبشر ، فهي ستغنيه عن الذهاب الى مدارس المدينة .

صحيح أن التعليم لم ينتشر في بلاده ، كما انتشر اليوم ، لكن تلك المدرسة كانت بالنسبة اليه طوق نجاة ، فهي وان كانت سترحمه من رعاية قطع الغنم في الصباح ، لكنها لن تتركه بعيداً عن نايه الذي كان يستخدمه كثيراً في جولاته ، ويفرح به ، ويحافظ عليه . يضعه في صندوقه الخشبي مع ملابسه القليلة ، وفي المدرسة أثبت قدرته وتفوقه في الاستذكار والدراسة بشكل أرضى جميع أساتذته ، ورجال قريته أيضاً أما والده فقد كان موضع فخره ، يجلس برفقه الساعات تلو الساعات



يستمتع الى ما يقرأ من كتب لا يعرفها .

كان باسم الوجه رغم جميع التفضنات التي تحيط  
بوجه ذلك الرجل الأسمر ، قوى البنية يستخدم  
يديه وعقله في آن واحد ، يبحث عن لقمة العيش في  
مقهاه الصيفي ، حاضر البديهة ، يتذوق النكتة  
ويدلى بها في أسلوب عفوي .

لكم أحب من قلبه هذا الأب ، فلقد كان حريصاً  
على تنشئة ابنه بطريقة مفايرة لنشأته هو .

والبيت الصغير بغرفه العارية ، ووالدته حول  
الرحاة تطحن قمحها تدندن بأغان بدوية حفظها  
لطول ما كانت ترددها تلك الأم ولا يزال يحفظها .

وأخذ يدندن بواحدة من تلك الأغنيات حتى  
إذا ما انتهى من كلماتها عاد مرة أخرى بذاكرته الى  
أصدقائه وصديقاته الصغار الذين كانوا يشاركونه  
اللعب في قرية (المسيجد) على سفوح الجبال الصغيرة ،  
وبين مقاهيها المحلاة بسعف النخل ، وعلى مقربة من  
القليب الصغير ، حيث يستقى الناس مياه الشرب

لهم ولأغنامهم وجمالهم

لطالما أمضى الساعات يرقب لعبة ( السيجا بعز )  
تدور رحاها بين أبناء القرية الكبار . ولقد حاول  
يوماً أن يرسمها على لوحة خشبية واختار بدلاً من  
بعز الجمال أحجاراً ذات لونين ، وألقى بما صنع  
على مائدة المقهى أمام والده وزواره : على اعتبار  
أن الطريقة التي استنبطها قد تغنى الرفاق من  
الجلوس على الرمال ، لكن رواد المقهى قابلوا الأمر  
في بادئ الأمر باحترام كبير ثم تناسوا اللوحة  
وعادوا يمارسونها بطريقتهم ، وكأن أمر اللوحة  
لا يعنيهم . لماذا لا يدري !!

ويوم وجه الى والده هذا السؤال ضحك الشيخ  
من كل قلبه ، وقال في هدوء : سيأتي اليوم الذي  
تتغير فيه ملامح الحياة في هذه القرية ، وسيعترف  
القوم بأسلوبك الجديد في تهيئة ظروف أفضل  
لألعابهم أما اليوم فلا :

دعهم يا بني على ما تعودوا عليه . وأمض

بلوحتك الى أصدقائك الصغار فبسواعد هؤلاء سيتم  
التغيير .

كلمات عفوية تحمل معان كثيرة خيرة قالها الرجل  
بلا مبالاة ، وكأنه يقرأ من ورقة صغيرة ما سيجرى  
لهذه القرية في مستقبلها القريب .

وتمر الأيام ، ويأخذ فهد طريقه الى المدينة  
المنورة في رحلة جديدة الى المجهول ، ويستقل  
السيارة بعد وداع حافل ظهر خلاله والده أقوى قلباً  
وأكثر إيماناً ، وأعمق تفكيراً ، أما والدته فقد  
أمضت ليلتها تلك مع دموعها تذرفها سخية ، فلأول  
مرة في حياتها سيفيب وليدها عن ناظريها .

وفي الطريق الممتد عبر الصحراء كانت رحلة  
فهد الى المدينة المنورة لقد أعطاه أبوه رسالة صغيرة  
الى عمه طلب فيها أن يفتح عينيه عليه وأن يلاحظه  
دائماً فلا يدعه يغيب عن الدار التي سيقطنها بعد كل  
مغرب .

أخذت سيارة البريد طريقها بين الرمال في





رحلة شائكة ، وفي جوفها طفل لم يقطع بعد الثانية عشر من عمره ، لكنه كان في تلك اللحظة في اهاب رجل يمضى الى غايته في هدوء الواثق بنفسه وملء قلبه آمنيات يرجو أن تتحقق ، وامتد أمام ناظريه الطريق الطويل يحمل في طياته رغبة مكنونة فلطالما أحس ببعض مرتادى قهوة أبيه وهم في طريقهم الى المدينة أنهم يتحدثون بكلمات لا يفهمها ، ويلبسون ثياباً نظيفة ، ويتطلعون الى القرية بمزيد من الفضول .

وهو اليوم قد يكون أحسن حالا ، لكن هزات السيارة ووقوفها المتكرر ضايقه بعض الشيء ، وأبعده بعضاً من الوقت عن أفكاره ، وأصبح الخروج من السيارة ، ودفعها بالأيدي الى الأمام والخلف الوسيلة للوصول الى الغاية .

وعند مداخل (أبيار علي) أحس بالراحة، فها هي مناظر المسجد النبوي تبدو أمامه بمنائرهما الشاهقة ، صورة جميلة تختلف كل الاختلاف عن صورة المسجد الصغير في قريته المسيجيد .

أخذ مستقلو السيارة طريقهم الى المقهى الصغير،  
لتناول بعض الطعام وبقي هو في مكانه يبتلع كسرة  
الخبز التي دفعت بها أمه اليه ، وفي أعماقه أحاديث  
لا تنتهي ، لكن السائق العجوز الطيب القلب الذي  
أوصاه أبوه به لم يرض عن بقائه ، بل طالبه في  
إصرار الانضمام اليه ومعاونه لتناول الشاي وعلى  
كرسي الشريط أخذ الشريط السينمائي يكبر في  
ذهنه ودقات قلبه تعلو وتعلو حتى تكاد تصم أذنيه .  
فعلى مقربة منه وبعد قليل من الوقت سيكون على  
مشارف المدينة .

ترى كيف سيستقبله عمه ، وإلى أي مدرسة  
سينتمي ، ومن سيكون زملاؤه ، وكيف ستكون  
الحياة في المدينة الكبيرة ؟

الوقت يمعن في الضياع وهو على مقعده وراء  
المقود تداعب ذهنه أفكار الماضي وأحاديثه : لطالما  
تذكر أشياء كثيرة عن هذا الماضي الذي عاشه لكنه  
اليوم يتذكر تفاصيل ودقائق ذلك الماضي في حرية  
لا تعادلها أية حرية ، وضحك من أعماقه ولأول

مرة : هو الذى لم يضحك بعد أن خمد صوت تليفونه لماذا لا يدري ؟ وعاد بالذاكرة القهقري الى أيام الدراسة في المدينة ، كيف كانت ؟ وكيف مضت ؟ وقارن بين الحياة قبل عشرين عاماً يوم كان هناك في المدينة المنورة واليوم فرأى البون شاسعاً ، فلقد امتد العمران وعمت الكهرباء ، هو الذى عاش أيام دراسته في المدينة على لمبة غاز بعد أن يقفل المسجد النبوي أبوابه ، وتغمض كهرباؤه عينيها في انتظار الفجر .

أما عمه فكان رجلاً فريداً من طراز يختلف عن والده ، فهو يرى رغم وجوده في المدينة أن التعليم مجرد عبث يكفي الواحد منا أن يعرف كيف يقرأ ؟ ولهذا لم يعط الفرصة لبناته أن يمضين في دراستهن رغم توافر الظروف بعد ذلك ، ومع هذا كان معه انساناً آخر تناسى نصيحة والده ، وتركه يبقى مع كتبه ومذكراته في المسجد حتى قفل أبوابه .

انه يتذكر اليوم الذى مضى فيه الى المدرسة ، لقد طالعه أول ما طالعه وجه واحد من أشهر مدرسى



المدينة أشقر الوجه ، جميل تقاطيعه ، يجيد الحديث والشرح ، يحبه تلاميذه من كل قلوبهم ، فارتبط باستاذة في رباط أبوي ، كانت نتيجته هذا المركز المرموق الذى هو فيه .

لطالما نفخ هذا الأستاذ في عروقه ، واستنهض هممه ، وصنع المستحيل ليُجعل منه الطالب المثالى .

ويوم نال شهادته الثانوية من المدرسة الناصرية أقام له الأستاذ أحمد حفلة شيقة في داره تناوب على الكلام فيها العديد من أساتذته واخوانه وكانت أحاديث الجميع منصبة على التغيير الشامل والتطور الكبير الذى أخذ يعم السهل والجبل من بلاده الكبيرة .

وسرح بناظريه الى المسيحيين ترى هل أضيئت شوارعها بالكهرباء كما هو الحال في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، لكنه لم يصل الى الجواب اذ قطع عليه حبل تفكيره اخوانه يطالبونه بالحديث فقام يخال بينهم مؤيداً كلماته بالشكر والتقدير ثم عاد بعدها الى الاشارة لحاجة هذا الوطن لسواعد

أبنائه يبنون تطوره ، ويساهمون في تقدمه .  
وفي نهاية الحفل ودع فهد أساتذته وأصدقائه ،  
وأخذ طريقه الى بيت عمه في ( حوش أبو جنب )  
يللم منه كتبه وحاجاته ، ومعها ذكرياته التي  
أمضاها هنا وهناك ، لقد تأثر بالمعاملة الطيبة التي  
كان يلقاها من سكان ذلك الحوش لقد ارتبط بهم  
طوال السنوات التي أمضاها في الدراسة بصداقات  
كثيرة مع أبناء ذلك الحي : وأحس بأنه مدين لتلك  
البقعة الصغيرة من مدينة الرسول بالكثير ففيها  
تعرف الى أنواع طيبة من علاقات المحبة والود والاخاء  
والتساند في الملمات ، وكانت عودته الى المسيجيد  
هذه المرة بطريقة مفايرة للطريقة التي قدم بها .

لشد ما تغيرت الأحوال في بلاده ، اختفت أكثر  
المنابر القديمة ، وامتد العمران في كل مكان  
وطالت أنوار الكهرباء أقصى حارات المدينة ،  
وتنفس الناس الصعداء فوسائل الحضارة تباع في  
الطريق بأثمان بخسة .

ترى هل يستعملون في المسيجيد نفس الأجهزة

التي تستخدمها امرأة عمه في المدينة ، لا يدري بعد  
وان كان يؤمن بأن التطور لم يترك مكاناً الا وصل  
اليه .

وهو لا يزال يذكر يوم جاءت أمه لزيارته ، لقد  
دهشت للملابس النسوة اللاتي كن داخل بيت عمه ،  
وتحدثت اليه كثيراً عن هذا الموضوع حتى الحلبي  
أصابها هي الأخرى نوع من التجديد ، وأصبح  
الناس ينامون في غرف مكيفة الهواء بعيداً عن  
قاعات الأمس التي كانوا يتلمسون فيها الرطوبة  
من خلال فتحات كبيرة تطل من سقف العمارة حتى  
قاع القاعة .

لقد منّ الله على هذه البلاد بثروة جديدة هي  
البتروول بعد أن كانت كل ثروتها ما يرد اليها من  
عائدات الحجاج . وأصبحت الدولة تصرف الكثير  
على هؤلاء الناس ، وهو يذكر جيداً كل هذه الأمور  
ويعيها لأنه عاصرها بالفعل .

أما كونه فلا يدري عنها شيئاً فلأنه ولد بعد تلك  
الفترة .

ويصل فهد الى المسيحيين ليجد أن كل شيء فيها  
تد تغير حتى مقهى والده هو الآخر قد تغير كثيراً ،  
امتدت له يد التطوير وامتد العمران ليحيل  
صحراءها القاحلة الى مزارع صغيرة .

لقد أمضى أياماً جميلة مع والده ووالدته ،  
والرفاق الذين كبروا والأصدقاء الذين اشتغل  
بعضهم ، وكانت فترة من أجمل فترات حياته ،  
حاول خلالها جاهداً أن يحتفظ بجميع صور الأمس  
واليوم للمستقبل الذي يريده .

وكانت ذكريات الامس المشجع الأول له لأن  
يمضى في طريقه الى أمريكا في رحلة علمية ، مع  
أمثاله من الشباب الذين هيأت لهم فرصة الانتقال  
من حياة الى حياة .

لقد أمضى شهراً كاملاً سعد خلاله برؤية  
أصدقائه ومحبيه ، ويوم استقل السيارة في طريقه  
الى جدة ، كانت السيارة من نوع آخر جديداً مغايراً  
لسيارة البريد التي استقلها في طريقه الى المدينة .  
وفي جدة شاهد أشياء كثيرة وتعرف على أصدقاء

جده ، كانوا خير عون له في شراء ما يحتاجه من ملابس في رحلته الجديدة هذه . لطالما استمع الى حديث والده عن هذه المدينة لكنه اليوم يراها شيئاً جديداً غير ما سمع بمبانيها الجميلة وطرقاتها المضاعة وتوفر الماء في كل مكان فيها .

وفي مدينة تكساس بأمريكا حط به الرحال بعد أن اجتمع الى صفوة من أبناء بلاده ساهموا جميعاً في اسعاده . وتعريفه على معالم الحياة في البلد الغريب .

كان دائم الكتابة الى والده يشرح في اسهاب جميع ما يراه في هذا البلد العجيب مدنه وطرقاته ومقاهيه وأنديته وأضوائه ، وكان الى جانب ذلك مكباً على دروسه ينتقل من مرحلة الى أخرى في سرعة عجيبة وذكاء خارق شهد به جميع مدرسيه . لقد جاب أكثر مدن أمريكا وأوروبا ، وتعرف على عادات أهالي تلك البلدان وتقاليدهم ، واستطاع أن يسايرهم في كثير من أمور حياتهم ، لكنه ظل ذلك البدوي في أعماقه : يكبر دائماً وعلى مدار الأيام

ويوم عاد الى المسيجيد بشهادته الكبيرة ساهم مع والده في خدمة الزبائن وأشرف على راحتهم ، وبقي فترة من الوقت يدلل والدته ووالده بما جلبه اليهما من هدايا .

وعندما استقر به المقام في العاصمة حاول المستحيل لأن يأتي بأبيه وأمه الى محل اقامته لكنهما رفضا ذلك ، فعمد على بناء دار جديدة لهما في القرية الصغيرة كانت ولم تزل مضرب المثل بالنسبة لسكانها .

ترى لماذا يذكر كل هذا وهو في مكانه لا يفارق سيارته ؟

لقد توفت أمه ، وساهمت وفاتها في اعطائه الفرصة لأن يحمل والده على السكن بقربه ، ويوم وافق طار فرحاً ، فها هي الفرصة تواتيه لأن يقدم شيئاً لهذا الأب الذي أعطاه كل حياته .

ومرت الأيام في سيرها الحثيث ، اتجاها آخر لم يطلبه ، فقد التقى فهد في آخر زياراته لأمريكا

بفتاة أمريكية من زميلاته في الدارسة وأحس بالكثير من العطف تجاه هذه الفتاة التي بادلتها العطف حباً كبيراً ، فاقترن بها في سرعة عجيبة ، ثم عادا الى الرياض لتضع أول مولود لها .

لكن الفتاة بعد أن وضعت مولودها أحست بكثير من الشوق للعودة الى الأرض التي ولدت فيها ، فلم يمانع .. وافترقا على وفاق هي الى أمريكا ، وابنه بجانب جده الذي أخذ يسهر عليه ، ويرعى نموه في حب واعزاز .

ويوم سافر والده رفق ابنه بالطائرة الى المدينة ومنها الى المسيجيد شعر بفراغ هائل يتصدر حياته ، وأخذ يعد الأيام لعودتهما لكن القدر كان يخبيء في هذه المرة شيئاً جديداً له ، فلقد تسلم برقية من صديقه سالم مدير المدرسة في المسيجيد يطالبه فيها بالحضور ، واندفع فهد الى المطار ليأخذ أول طائرة الى المدينة ومنها الى المسيجيد ليجد والده في حالة من المرض شديدة . وآله منظر والده ، فعمل المستحيل على نقله الى مستشفى جدة ، وفي جدة قرر الأطباء

سفر الوالد الى أمريكا للعلاج من المرض الخطير الذى أصابه .

واستخدم فهد جميع صداقاته ليأخذ أول طائرة الى مستشفى هوستون في أمريكا ، وفي المستشفى وبعد فحص طويل استغرق بضعة أيام قال له الطبيب : قد يحتاج علاجه الى شهور ، وعلى هذا يمكنك أن تعود الى عملك وأن تطمئن الى النتيجة .

لكن قلب فهد لم يطاوعه أن يترك والده في هذه الحالة ، ومع هذا فقد بارك العجوز سفره على وعد أن يتحدث اليه ليلياً وبالهاتف ولهذا فهو في كل ليلة على موعد مع جرس التليفون في حديث طويل مع والده العجوز .

ولقد انتظر كثيراً هذه الليلة عله يسمع صوت والده دون جدوى . لقد اتصل بالترنك مرات ومرات ، وطلب المستشفى من جانبه لكن تليفون المستشفى في هذه المرة لم يلب ندائه لماذا لا يدري ؟

وها هو الليلة يرمق النجوم التى أخذت تظهر



أكثر وأكثر في السماء في لهفة ما بعدها لهفة !! ترى متى ينبلج الفجر مؤذناً عن انبثاق يوم جديد .

وتمضى الساعات ويمل فهد مكانه ويعود الى طريق خريص في رحلة جديدة مع سيارته في انتظار تباشير الصباح .

وفي البيت تعاوده أفكاره مرة أخرى .

ترى ماذا جرى لهذا العجوز ؟ حتى يصمت وأخذت الهواجس تحيط بفكره من كل جانب وتمسك بتلابيب نفسه ، ويحس فهد بحاجة الى من يؤنس وحدته ، فمضى الى غرفة ابنه ليجده هو الآخر يغط في سبات عميق .

وتطل الذكريات ، وتبدأ المقارنة بين حياته بالأمس ، وحياة هذا الطفل الوادعة ، وتبدأ أحاديث النفس تأخذ أسلوباً آخر ، في تلك اللحظة .

ترى هل تجوز المقارنة بين الأمس واليوم ، بين الأمس البعيد وحتى الأمس القريب . لقد تغيرت أسباب الحياة وأساليبها في بلاده ، ومع أن طعمها

الرائق لم يزل يحس به ، يجرى في فمه الا أن هذا  
الطعم قد بدأ يفقد قيمته لديه .

لماذا ؟ لأنه يفتقد والده ، وهذا الطفل هو الآخر  
ألا يفتقد شيئاً ؟

سيصحو من نومه وسيكبر ، ويومها سيشعر أن  
والدته التي وهبت له الحياة ذهبت دون رجعة .

امتصتها الأيام وابتلعتها المدينة الكبيرة بزخرفها  
وضوضائها ، لم يغنها حبها له ، ولا وجيف قلب هذا  
الطفل الذى تركته بلا وداع .

لقد تحدثت اليه حديثاً طويلاً ، لكنه لم يكن على  
ذلك المستوى الذى يريده .

صحيح أن الشرق شرق والغرب غرب ، وانهما  
لا يلتقيان .

واذا التقيا فالى حين . ومن ثم يعود الفراق  
ليحل مكان اللقاء .

ولقد أصم أذنيه يومها حتى لا يسمع حديثها

الرتيب وهي تلقى على مسمعه محاضرتها عن أسباب هجرها للبيت ، ورغبتها في العودة .

لقد قالت كل ما عندها في كلام منمق ، وكأنها اختارت كل كلماتها ، ومع هذا فقد هز رأسه دون أن يجيب ، لا لأن كلماتها لم تكن مناسبة ، ولكن لأن كل ما قالته لا يخرج عن كونه معادلة علمية تندرج تحت أرقام يكون الناتج عنها مدروساً وملموساً .

ترى هل فقد الغرب وخاصة فتيات أمريكا معنى العواطف الانسانية الجياشة ؟ أم أن حبها كان مجرد نزوة ؟ وما ذنب هذا الطفل اذا كان حبها قد فتر ؟ أو لا تستطيع هذه الأنثى أن تفهم معنى التضحية ؟ وآمن بينه وبين نفسه بأنه قد أخطأ فاختار لنطفته فتاة من غير جنسه .

ترى لو كانت هذه الفتاة من بنات المسيحيين أو المدينة أو الرياض أو أية مدينة أخرى هل تفعل ما فعلت؟! ومع هذا تركها تصنع ما تريد وأعطاه

ما ترغب . كان جل همه شيئاً واحداً هو أن تكون  
على اتصال به ليعرف ابنها مكانها يوماً ما عندما  
يكبر .

لكنها هي الأخرى رفضت ذلك ، ولم تبعث حتى  
برسالة صغيرة تنبيء عن وصولها الى أهلها وذويها .  
ترى أين هي الآن ؟ وماذا سيقول لهذا الطفل  
عندما يكبر ؟ .

سيقول : انها ماتت ويكذب . وتختلط  
الذكريات ، وتطل عقدة الذنب في لحظة من صحو  
الضمير ، ويدور حديث خافت بينه وبين نفسه :  
لماذا أقدم على الزواج بهذه المخلوقة ؟ لقد عرف  
الحياة في أمريكا ، وشهد كثيراً من فصول المأساة  
التي تعانيها الأسر الأمريكية ، ورأى بعينه انفصام  
أفراد الأسرة وتباعدهم عن بعضهم البعض ، ربما  
كان يظن أن الحياة في بلاده ستغير من نظرة الفتاة ،  
ستعيدها الى صوابها ، ولكن حتى هذا لم يكن صحيحاً .  
واليوم ها هو في غرفته يجسد أحزانه التي

ولدها : صمت هذا التليفون ليته ينطق ، ليته يقول كلمة واحدة ، ويرن جرس التليفون فيلقفه في لهفة ، وتجيء كلمات عاملة الترنك الى أذنيه عذبة متراقصة ، فها هي أمريكا معه على الخط الاخر .

ويفاجأ بصوت زوجته الأمريكية يرن في أذنه في كلمات صافية ، كانت كلمة عزيزي تسبق كل كلمة تقولها هذه الأنثى .

وامتدت المخابرة التليفونية فترة من الوقت كانت فيها (لودي) تتحدث في اندفاع غريب، وتصف في كلمات سهلة رحلتها الطويلة عبر مدن عدة ، شاهدت معالمها في بهجة .

واستمع لحديثها وهي تعتذر عن التأخير في الكتابة اليه والحديث معه لانشغالها بأمر الزوج الجديد الذى اختارته أثناء مرورها ببليجيكا ، ودفعت بسماعة التليفون الى زوجها الجديد ليتحدث اليه شاكرأ على الهدية التى منحها اياه ولولاه لما استطاع أن يتعرف على هذه الدمية الجميلة .

هكذا كان يسميها ، أما هو فلم يكن في موقف  
الذى يستطيع أن يقول شيئاً ، كل الذى قاله مجرد  
كلمات عابرة تحمل معاني التهنة ولا شيء غيرها .  
وفي نهاية الحديث سألته لودي في كلمات قليلة عن  
وليدها الذى تركته ثم أقفلت السماعه دون انتظار  
لجواب ، وعندها هب وليده من نومه مندفعاً الى  
أحضانها يداعب يديه الصغيرتين وجنتيه ، فلم  
يشعر الا ودمعة ساخنة تأخذ طريقها على صفحة  
وجهه ، ومنها الى يد الطفل .

وانبسطت أساريره بعد لآى !!! ومضى يداعب  
طفله في هدوء . واتجه الى التليفون يداعب أرقامه :  
ليأتني صوت عاملة الترنك هذه المرة مجيبة  
بلامبالاة : فترة من الوقت وسنعطيك مستشفى  
هوستون ، لكن هذه الفترة امتدت الى ساعات من  
الزمن قاتلة !! شاء بعدها أن يعتذر عن الذهاب الى  
الجامعة لالقاء محاضرتة ، لأنه لم يكن يملك ساعتها  
سوى الاعتذار ، وطلب من صديقه ابراهيم  
تليفونياً أن يقوم بالقاء المحاضرة نيابة عنه فقبل

في سرور ظاهر ، وأعاد النظر الى التليفون يرمقه  
بغیظ وقال بینه وبين نفسه : الى متى يظل هذا  
الجاحد الأسود في صمته !!

وعند الساعة الثانية ظهراً رن جرس التليفون  
بطريقة متواصلة كان المتحدث في هذه المرة طبيب  
والده المشرف على علاجه ، الذى أنهى اليه في كلمات  
قليلة شفاء العجوز من المرض الخطير الذى أصابه  
وقال له : صدقني : هي معجزة أن يشفى العجوز ،  
لقد أعطانا نحن الأطباء مثالا فريداً على القدرة  
والتكيف مع العلاج بشكل لا أستطيع أنا وزملائي  
أن نقول عنه الا أنه معجزة .

أما والدك فيقول شيئاً آخر . يقول ان الايمان  
الذى يعيش في صدره هو الذى أعطاه القوة  
ليشفى . وضحك الطبيب ثم تابع قوله :

قد يكون ما يقوله والدك صحيحاً لدرجة جعلتني  
أتحدث اليه حديثاً طويلاً ، عبر صديقك ، عن معاني  
هذا الايمان الذى يقول عنه ، ولكم كان سرورى  
عظيماً أن أكتشف أنا العالم بخصائص الجسم

البشري أشياء كثيرة لم أكن أعرفها !!! وهو أمر من  
المجدة بمكان بالنسبة الي .

لقد تحدثت طويلا الى زوجتي وأصدقائي عما  
يقوله هذا الرجل ، وبدأت أفكر كثيراً في الطريقة  
التي أستطيع من خلالها استيعاب ما يقول فيلسوفك  
العجوز ، فلقد قال لي والدك أن أطلب منك ان أمكن  
ارسال أكبر مجموعة من الكتب التي تناقش هذا  
الايمان الذى يعمر صدر والدك .

وأجاب فهد في اقتضاب : شكراً سأفعل ، لكن أين  
هو العجوز الآن دعه يتحدث الي .

وضحك الطبيب وقال : لقد حاولنا طيلة ليلة  
الأمس أن نتحدث اليك في الموعد المحدد ، لكنك لم  
تكن على مقربة من تليفونك فلم نستطع .

ان أباك اليوم خارج المستشفى مع صديقك في  
شقيقته ، وسيبقى بضعة أيام فقط ثم يعود اليك  
معافى مشافى . لقد خرج من المستشفى في جلبابه  
الابيض بعد أن أصر على توديع جميع سكانه .



وبعد الانتهاء من المكالمة التليفونية قام فهد من مكانه وسار الى غرفة والده لتصافح عيناه صورته ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة صافية .

لقد وهبه الله العلم والمعرفة ، ووهبه أيضاً وليده الذى ينمو ويكبر ووهبه أكثر من هذا الأب الطيب ، الذى يكن له كل محبة واحترام ، فلولاه لما استطاع أن يصل الى ما وصل اليه من علم وجاه ومركز .

وسرح بأفكاره بعيداً الى المقهى الصغير في قرية المسيجيد ، ورأى بعين خياله صورة والده يجرى هنا وهناك ملبياً نداء الزبائن في خفة وحركة والى جانب المقهى كانت مباني مدرسة الصحراء التى طليت جدرانها آنذاك ببياض واضح ، يعطى فكرة عن الهدف الذى أنشئت من أجله .

انه يحبها : القرية ، والمدرسة ، وأهلها الطيبين .

## مَن هُوَ الكَاتِبُ ؟



- غالب حمزة أبو الفرج .
- ولد بالمدينة المنورة في ٢١ رجب ١٣٤٩ هـ .
- تلقى تعليمه العالي بالقاهرة .
- شغل عدة مناصب هامة في الدولة ،
- كان آخرها منصب المدير العام لشؤون الصحافة والنشر بوزارة الإعلام ،
- لأكثر من عشرين عاماً ، ثم اختار أن يتفرغ للأعمال الحرة ، وإن ظل وثيق الصلة بالقصة والأدب .
- ساهم بقلمه في نشاطات كثيرة ، منها الكتابة الاجتماعية .
- برز في القصة والرواية ، فكتب العديد من القصص الصغيرة ، وعدداً من الروايات الطويلة . .
- صدر له مجموعتان من القصص القصيرة ، أولاهما (من بلادي) والثانية (البيت الكبير) ، وهي المجموعة الثالثة . .
- أول رواية طويلة صدرت له هي (الشياطين الحمر) عن حادث اختطاف وزراء الأوبك ، نشرت في عدد من الصحف العربية ، كما نشرت موجزاً عنها الصحف الغربية واليابانية ، وأفردت جريدة التايمس الأميركية صفحة للحديث عنها .
- له صلات واسعة بعدد كبير من الشخصيات الفكرية في العالم العربي والغربي .
- يحمل عدة أوسمة من بعض البلاد العربية .

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع